**خطبة رزق الانعام والاستدراج**

**الخطيب: يحيى سليمان العقيلي**

معاشر المؤمنين

ظواهر يراها البعض فتحدث له التشكك فهمه والارتباك في تفسيره، في حين أن تفسير ما يراه المرء في واقعه على ضوء القرآن الكريم سيورث الهداية والتوفيق، والسداد واليقين، فإن هذا القرآن يهدي للتي أقوم، وبتدبر آيات الكتاب الحكيم يجد المرء تفسير ما يراه برؤية ثاقبة تزيل الشك وتبعث باليقين، ومن تلك الظواهر ما يراه البعض من غنى أهل الكفر والفجور والطغيان، ويرى علوهم وسطوتهم، على عكس حال أهل الايمان والتقوى وأصحاب الحق، فيتشكك في دينه ويحتار في عقيدته وفهمه، ويلتبس عليه الحق بالباطل، ولنفهم عباد الله مانحن بصدده نستذكر قصة قارون حين خرج على قومه في زينته ، وكان لديه من الكنوز ما تنوء بحمل مفاتيحه العصبة من الرجال ، فانخدع ضعيفو الايمان ممن انخدعوا بالمظاهر فقال عنهم ربنا جل وعلا " فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ(79) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (81) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82)

ونطرح هنا تساؤلا عباد الله:

ما الفرق بين عطاء الانعام الذي ينعم به ربنا جل وعلا لعباده المؤمنين، وعطاء الاستدراج للعصاة والطغاة، فالجميع ينال الرزق من الله تعالى، كما هي سنة الرزق التي كتبها جل وعلا للعباد جميعا " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126)

فهل لكل منها علامات وأمارات يعرف بها؟

معاشر المؤمنين

عطاء الانعام والرضى من الله تعالى يكون للمؤمنين الموحدين ،الذين يوحدون الله تعالى ويعبدونه ، كما أنه يتتابع على المؤمنين الذين يقرون لله تعالى بالإنعام ، وأن النعمة والرزق منه سبحانه ، كما أن عطاء الإنعام يكون للشاكرين الله تعالى ، الذين يشكرون الله تعالى على نعمه وأفضاله ، فيزداد العطاء لهم بشكرهم ، كما قال تعالى " ولئن شكرتم لأزيدنكم " كما أن من شروط عطاء الإنعام أن يسخر العبد نعم الله عليه في طاعاته وقرباته وما يرضيه، وأن يؤدي حقوق الله فيها وحقوق خلقه ، حينها عباد الله يأتي الرزق والعطاء من الله جل وعلا على سبيل الانعام والرضى .

أما إذا كان المرء كافرا وجاحدا، او فاجرا وفاسقا، او كان طاغيا ظالما، ويرى أن النعم تترى عليه، فإن ذلك العطاء استدراج من الله جل وعلا لا يزيده إلا خسارا، ولن تكون عاقبته إلا إلى وبال، قال تعالى " فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (44)

وقال تعالى :(فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ(44) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(45) (الانعام).

 وإنّما يفتح اللّه أبواب النعمة عليهم ليفرحوا، ويتمادوا في غيّهم وطغيانهم، فيأخذهم اللّه بغتة، أخذ عزيز مقتدر، وهذه السنّة هي نفسها سُنّة الاملاء في القرآن، وإنما يسميها القرآن بالاستدراج لأن اللّه تعالى يستدرج بها المسرفين الى السقوط، روى احمد في مسنده

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون

وفي الحديث إشارة إلى حقارة الدنيا عند الله عز وجل، ولحقارتها عنده لم يجعلها ثواباً للطائعين، كما لم يجعل الحرمان منها عقوبة للعاصين. فتراه سبحانه يبسط الدنيا لأهل المعصية، ويزويها عن أهل الطاعة، وما ذاك إلا لدناءتها، وأما الجنة فلقدرها وعظمتها جعلها الله عز وجل ثواباً لأهل طاعته، وجعل الحرمان عقاباً لأهل معصيته.

معاشر المؤمنين

من علامات الاستدراج أن يدعي من أنعم الله عليه عليه بالنعم أنها من كسبه هو، ومن علمه وجده وقوته، كما قال قارون الهالك " قال إنما أوتيته على علم عندي " وقالها سيده فرعون قبله حين تكرر البلاء من الله عزوجل عليه وقومه " وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (51)

وهكذا ابن آدم إذا لم يمتثل لمنهج الله ويستقيم على أمر الله تزيده النعم عن الله بعدا ومن سوء المآل وبئس العاقبة قربا

نسأل الله تعالى العافية في الدين والدنيا والاخرة، وأن يجعلنا أرزاقنا عطايا إنعام وإكرام، اقول ما تسمعون واستغفر الله

معاشر المؤمنين

ومن علامات الاستدراج أن تزيد النعم ذلك الظالم ظلما وطغيانا، وأن يسخرها في معصية الله ومساخطه، لا يعرف لله حقا ولا لعباده معروفا، ومن علاماتها أن المرء منهم إذا كان في شدة وضيق لجأ الى الله فإذا كشف الله عنه ضره عاد لما كان عليه من الطغيان والفجور

قال تعالى " وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (12يونس)

فلنتدير كتاب ربنا جل وعلا عباد الله، ولنزداد من الله قربا، ولنسخر نعمه علينا في طاعته ورضوانه، وليحذر من كان على غير منهج الله مما يراه من إنعام وعطايا، فهذا من الاستدراج والاملاء، فلينتبه وليتعظ وليرجع الى ربه الرؤوف الرحيم فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.